الرِّسَـــالة ١٤٨

اختبَـــارى [٧ يُوليُو ١٩٥١]

(Arabic - My testimony July 7, 1951)

أحبّائِى.. مَوْضُوعُ حَديثنَا اليَوْمَ عَن: **اختبَـــارى**

ومِنْ سفر التكوين الأصْحَاح السَادِس نقرَأ الجُزْءَ الأولَ مِنَ العَدَدِ الثالِث:

" فقالَ الرّبُّ: لا يَدِينُ رُوحِى فِى الإنسَان إلى الأبَدِ لزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ".[١]

نشأتُ فى كنفِ أسْرَة تعرفُ خَوفَ الله. وكنتُ أصغرَ الابناء وترتيبى السَابعُ فيهَا. وكان فارقُ السنِّ بينِى وبين أخِى الأكبر عشرين سنة. عاشَ أبى وأمّى حياة التقوَى والسيْر مَعَ الله طوالَ حَياتهمَا. كانَا يواظبَان على الذهاب إلى الكنيسَةِ فى مدينةِ طهطا بمحافظةِ سوهاج بمِصر. ويحْرصَان على اصطحَابى معَهُمَا إليهَا. لمْ يكنْ بتلك الكنيسَةِ مَدارسُ أحَدٍ بالمَعنى المَفهوم الآن. لذا كانَ عَسيرا علىّ استيعابُ مَا كانَ يُقدّم أو يُتلى فى تِلكَ الكنيسَةِ. وكانتْ تربطنا جميعاً كأسْرة، مَحبّة قويّة أواصرُها متينة. وشقيقاتى الثلاث وكنّ أكبرَ مِنّى كانَ لهنّ ولعٌ شديدٌ بقراءةِ الكتابِ المُقدّس والكتب الروحيّة المتيسِّرَة فى ذلكَ الوقت. وكان والدَىّ مع شقيقتى التى تكبرنِى بخَمْس عَشْرَةَ سنة يَسْردُون علينَا أنَا وأختِى التوأم قصَصَ الكتابِ المُقدّس المُمتِعَة مَسَاءَ كلِّ ليلة.. لذلكَ تعلقتُ بشَخْصيّاتِ الكتاب المُقدّس مُنذ الطفولةِ. ومَا سَرَدُوه علىّ أصبحَ رَصيداً مُدّخَراً فِى أعْمَاقِى استعيدُهُ حتى الآن بسهُولةٍ.

كانَ يشدّ انتباهى ويثيرُ اهتمَامِى فى صبَاى أنْ أرَى والدَىّ يُصليَان معاً صباحاً ومساءً. وكنتُ فجْرَ كلّ يَوْم وأنا على الفراش أعْطِى اهتمَاماً بإصْغائِى إلى صَلاتهمَا لأنّهُمَا كانَا يصليان بصوْتٍ مَسْمُوع. وهذا لأمْرَين:

أولا: لأنّنِى كنتُ أشعرُ أنهمَا يُخاطبان شَخْصاً حيّاً مَوجُوداً دَاخِلَ البَيْتِ وإنْ كنتُ لا أرَاه.. كانَ أحْسَاسِى بجلال حُضُورِهِ فى المَكان حيث يُصليان يُريحنِى ويُسْعِدنِى. وقد أدْركتُ مَدَى علاقتهُما القويّة بشَخْصِهِ وتمنيتُ لوْ كانتْ لى تلكَ الصِّلة الحُلوَة الفريدَة مَعَهُ. ولكنّنى ظننتُ وقتهَا أنّ تلكَ العَلاقة مَعَ الله لا يَصِلُ إليْهَا إلا الكِبَارُ.

ثانياً: كانَا فِى صَلاتهمَا يَطلبَان بَركة وحِفظاً لكلّ واحِدٍ مِنْ أفرَادِ الأسرَة باسْمِهِ.. وكنْتُ أستمتِعُ بسَمَاع اسْمِى يُذكرُ وإنْ كانَ فى نهايَة صَلاتهمَا. ونشأتُ أصلِى كمَا يَصليَان ولكنْ كعَادةٍ تعَودْتهَا وأحْرصُ على عدَم نسيَانِهَا فى الصبَاح وقبلَ النوْم خشيَة سَمَاع كلمَاتِ اللوْم مِنْ والدتِى التِى كانَتْ حَريصَة على المُرَاقبَة والمُتابَعَة.

دَاوَمْتُ على الصَلاةِ التِى نَشَأتُ عليْهَا أقدِّم فيهَا طلبَاتِى بثقةٍ وإيمَان باستجَابَةِ اللهِ لصَلاتِى. ولكنْ لمْ أكنْ قدْ بَدأتُ بَعْدُ العَلاقة التِى لمَستهَا فِى والِدَىّ مَعَ الله. وحينَ بلغْتُ سِنّ المُرَاهقةِ كنتُ مُولعاً بقراءَة الكتب المُترْجَمَة إلى اللغةِ العَربيّة وخاصّة للفلاسِفة. ولكنْ إعْجابى بفلسفاتِهِمْ أنشَأ فِى دَاخِلِى شُكوكاً فِى العَقائِدِ الدِّينيّةِ. وبدأتُ فِى سِنّ السَادِسَة عَشْرَةَ أناقشُ المُتديِّنينَ المُؤمِنينَ وفِى قلبى مَيلٌ للوُصُول إلى مَا يقنِعُنِى. ولكنّنِى كنتُ مُصِرّاً على الاقتنَاع العقلِىّ. وأغلقتُ على نفسِى كلّ مَنفذٍ لقبُول أىِّ فِكر دُونَ بُرْهَان أوْ دليل عقلىّ مَلمُوس.

كنتُ قدْ بلغْتُ الثامِنَة عَشْرَةَ حينَ بدأتُ أكتبُ لشقيقِى الذِى كانَ يكبُرُنِى بعَشْر سنَوَات عَنْ شكوكِى وعَدَم إيمَانِى. وقدْ استقبلتُ مِنْهُ رُدوداً على خِطاباتِى إليهِ تكشِفُ عَنْ عُمْق إيمَانِهِ وثقتِهِ بالله. وإنّى أحْتفظ بخِطابَاتِهِ تِلكَ لذلكَ اليَوْم. وقدْ توفِىَ فِى حَادثِ طائرةٍ حَربيّةٍ حينَ كانَ قدْ بلغَ مِنَ العُمْر ثلاثة وثلاثين عَاماً. ترك وقتهَا طِفلَيْن قمْتُ بتنشِئتِهُمَا. وقد أرْسلتُ إليْهمَا صُورَة لِخِطابٍ مِنْ أبيهمَا كنْتُ قد احتفظتُ بهِ لِخمْسينَ سَنَةٍ مَضَتْ.

كانَ لِى زَميلٌ صَديقٌ أتمَمْنَا دِراستنَا العِلميّة مَعاً وتمّ تعْيينُ كليْنَا مُدَرِّسيْن لعِلم الرِّيَاضيّات فِى مَدْرَسَةٍ واحِدَةٍ بمدينتنَا طهطا بمُحَافظةِ سُوهَاج.. كانَ صَديقِى عَميقَ الإيمَان واكتشفتُ أنّ لهُ صِلة وثِيقة باللهِ مِنْ نوْع صِلةِ والدَىّ بالله. كانَ دَمِثَ الخُلق لطيفَ المَعْشَر رقيقاً فى حَديثِهِ ومُناقشاتِهِ. ولقد وَجّهْتُ إليْهِ يوْماً ثلاثة أسئِلة:

---

[١] سفر التكوين ٦: ٣ ، استمع إلى الإنجيل

أولاً: كيفَ قبلَ الإيمَانَ بالمَسيح؟.. هل بجُهُودِهِ وصلَ إلى تلكَ الغايَة؟. أمْ هُناكَ عَواملٌ أخرَى مُرتبطة يمكنُ إدْخَالهَا فى الاعتبَار؟. فكانتْ إجابتهُ تخالِفُ مَا ظننتُ. إذ أنهُ فاجأنِى بتِلكَ العبَارَة: "لقد سلمْتُ إلهى القديرَ قلباً فاسِداً وبعَمل رُوحِهِ القدّوس نلتُ قلباً جَديداً وَحيَاة جَديدَة". وقالَ: إنّ اختبارَ خَلاصِهِ وتجْديدِهِ يُعْرَفُ فِى الكِتابِ المُقدّس بالولادَةِ الثانيَة. وبالطبْع لمْ ترُقْ لِى إجَابتهُ وقتهَا. لأنّهَا لا تتفِقُ مَعَ العقل فكيفَ أقبلهَا؟.

ثانياً: إنّ أمْوالاً طائلة تنفقونها علي هَدفكم وتسمّونَه خَلاصَ النفوس.. وأنتمْ تنتشرُونَ فى جَميع بلادِنا المِصْريّةِ. أولَيسَ الأفضلُ أنْ تنفقوا مَا تجمَعُونَهُ على الفقرَاء والأيتام والأرَامل والمَرضَى فهُمْ أولىَ بمَجهُودَاتِكمْ وأمْوالِكمْ؟. وهذا السّؤالُ يَختصُّ بالهَيئةِ الدِّينيّةِ التِى كانَ يتبَعُهَا وهِىَ جَمْعيّة خَلاص النفوس. فأجابنِى قائلا: لا شكّ أنّ مَا تقترحْهُ لا غُبَارَ عليْهِ. فالسّيِّدُ المَسيحُ نصحَ الشّابّ الغَنىّ الذِى سألهُ "مَاذا يَعْملُ ليَرِثَ الحيَاة الأبديّة" أنْ يَبيعَ مَالهُ ويُعْطِى الفقرَاءَ ويتبَعَهُ. كمَا أنّ يَعقوبَ فِى رسَالتِهِ قالَ: "إنّ الدِّيَانَة الطاهِرَة النقيّة عِندَ اللهِ هِىَ افتِقادُ اليتامَى والأرَامِل فِى ضيقتِهِمْ وحِفظ الإنسَان نفسَهُ بلا دَنَس مِنَ العَالم". ولكنْ لا يكفِى أنْ نقدِّمَ لأحَدِهِم طعَاماً ليَأكلَ. وعِلاجاً ليَصِحّ بَدنهُ. ومَالا لِسَدّ أعْوَازِهِ المَاديّةِ دُونَ اهتمَام بتقديم الغِذاء الرّوحِىِّ لهُ. لا يُجْديهِ نَفعاً أنْ نقدِّمَ لهُ هذا دُونَ ذاكَ. مَا الفائِدَة إذا كانَ غَارقاً فِى خَطايَاهُ وليْسَ مَنْ يُقدّمُ لهُ طوْقَ النجاةِ للخَلاص مِنْ خَطايَاه؟.[1]

ثالثاً: هلْ يُمكِننِى حُضُورَ اجتمَاعَاتِكمْ دُونَ إلزَامِى بأىِّ أمْر مِنْ أمُور مُعتقدَاتِكم؟.. أجَابنِى بنعَمْ. استمتعْتُ بحُضُور الاجتمَاعَات وسَمِعتُ الكثيرَ مِنَ العِظات الرّوحيّة المُؤثرَة. ولكنْ كانَ تأثيرُهَا وقتيّاً يَضيعُ بانشِغَالِى فِى الحيَاةِ العَامّةِ. وكنتُ أرَى أنّ أمَامِى مُتسعاً مِنَ الوَقتِ كىْ أفحَصَ وأدْرسَ ولا دَاعِ لأتعَجلَ شيئاً قبلَ تمْحيصِهِ وتفنيدِهِ والرُجُوع إلى أصُولِهِ. لذلِكَ لمْ أكنْ جَاداً فى قبُول رسَالة الخَلاص وتسليم حيَاتى للرّبِّ. أمّا شقيقتِى التوْأم فكانتْ حَريصَة على حُضُور تِلكَ الاجتمَاعَاتِ الرّوحيّةِ واستقبَلتْ دَعْوَةَ اللهِ لهَا. وكانَتْ تردِّدُ فى المَنزل بَعْضَ الترَانيم الشّائعَة فِى ذلِكَ الوَقتِ. ولكنّنِى إذ أغلقتُ قلبى كنتُ أضيقُ بمَا أسْمَعُ مُحَاولاً إيقافهَا.

ولكنْ حَدَثَ أمْرٌ لا أنْسَاهُ مَا حَييتُ. فلقد عَقدَتْ تِلكَ الهَيئَة الدِّينيّة مُؤتمَراً رُوحيّاً بطهطا. دَعَتْ إليْهِ رَجُلا تقيّاً شَهيراً يُدعَى برنابا نوس وكانَ واعظاً قديراً. وفى إحدَى ليَالِى المُؤتمَر قرَأ مِنْ سفر التكوين الأصْحَاح السَادِس العَدَدَ الثالثَ. وأخذ يُفسّرُ مُوضّحاً تلكَ الآيَة: "فقالَ الرّبُّ: لا يَدينُ رُوحِى فى الإنسَان إلى الأبَد. لزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ". قالَ برنابا نوس فى عِظتِهِ: هذِهِ رسَالة الله إليكَ الليلة. إنكَ لكثرَةِ مَا سَمِعْتَ دُونَ استجَابَةٍ أصابَ قلبَكَ قساوة. فأنتَ تَسْمَعُ وكأنّكَ لا تَسْمَعُ. لقدْ شابَهْتَ الأمْواتَ فى القبُور مَهْمَا صِحْتَ فيهِمْ فليسَ مَنْ يُجيبُ. إنّ اللهَ يَقولُ لكَ الليلة: لا يَدينُ رُوحِى فى الإنسَان إلى الأبَد. فهَلا استجبتَ الآنَ لصَوْتِ اللهِ المُوجّه إليكَ؟. ليْتكَ تسْمَحُ لرُوح الله أنْ يَدْخلَ قلبَكَ ليُجَدّدَه ورُوحَكَ ليُحْييهَا. إنّ الأمرَ مَترُوكٌ لاختيَاركَ. فانتهزْ اليَوْمَ الفرْصَة لأنّكَ لا تعلمُ بماذا يأتيكَ الغدُ. تعالَ إليْهِ الآن. لا تؤجلْ وإلا ستَندَم وحينذاكَ لا ينفعُكَ الندَمُ. إنّ اللهَ يُحبّكَ ويَنتظرُكَ فتعَالَ إليْهِ الآنَ.

لقد عزَمْتُ تلك الليلة أنْ أقلِبَ صَفحَة جَديدَة فى حَياتِى. ورَغبْتُ أنْ يكونَ لى صلة وثيقة بالله مِنْ نوْع صِلةِ والدَىّ بالله. ليْسَ اعتمَاداً على بُرْهَان عقلِىّ. بلْ على بُرْهَان الرّوح القدُس ليَعْمَل فِىّ. لذلكَ فتحتُ قلبى لِمَنْ اشترَانى لا بفضّةٍ أو ذهبٍ بلْ بدَم طاهر ثمين. فتحتُ قلبى لابن اللهِ الذِى جَاءَ ليَهبَنى الحيَاةَ الأبديّةِ. وقدّمْتُ الدّعْوَة لبرنَابَا نوس ولزَميلى أنيس يُونان ولِخَادِم الرّبّ رزْق جَاد الله لزيَارتِى. ولقد سَجلتُ فى مُذكرَاتِى تاريخَ عِظةٍ بَدّلتْ حياتِى. مَساءَ اليوْم السَابع مِنْ يُوليُو سنة ١٩٥١. وسَجلتُ أيضاً تاريخَ الزيارة. وقدْ تلتْ ليلة صَلاتِى وتسليم حيَاتِى للرّبّ بثلاثةِ أيّام. وبشرْح مُستفيض وَضّحُوا لِى طريقَ الحيَاةِ الأفضل. وسَجّلتُ فى مُذكرَاتى يَوْمَها قرَارى وعَزْمِى على اتبَاع الرّبّ مِنْ كلّ القلبِ. وعلى نشْر وتوصيل رسَالةِ الخَلاص للنفوس المُحتاجَةِ للحَياةِ الأفضل.

هذا هُوَ اختبَارى. وتِلكَ صَلاتِى أرفعُهَا خَاشِعاً لِمَولاى: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ لأنكَ قبلتَ خَاطئاً نظيرى. قبلتنِى ليْسَ لبرّ صنعتهُ فقدْ خلتْ يَداى مِنْ كلّ برّ. ولكنْ فى استحقاق الدَم الكريم قبلتنِى. وأمْسكتَ بيدِى الضَعيفة. ومَلأتَ قلبى سَلاماً. أشكرُكَ لأنكَ حَافظِى وضَامِنى حتى يوْمَ ألقاكَ.. أرفعُ صَلاتِى فى اسْم يَسُوعَ الذِى أحَبّنِى وافتدَانِى بسَفكِ دَمِهِ.. مُتكِلاً على وَعْدِكَ الصَادق يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالة أو غَيْرهَا ستجدُ ذلكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

[1] إنجيل متى ٢١: ١٩ ، رسالة يعقوب ١: ٢٧ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ٤ – ٥